

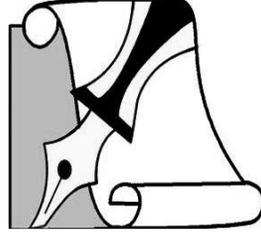


مركز البحوث للدراسات الفلسطينية والاستراتيجية

التقدير نمف الشهرى

تحليل للتطورات السياسية
والأمنية فى لبنان

www.bahethcenter.net
Email: baheth@bahethcenter.net
bahethcenter@hotmail.com



**مركز للدراسات
الفلسطينية والاستراتيجية**

تقدير نصف شهري للتطورات السياسية والأمنية في لبنان

أهداف المركز الرئيسية:

- ١ . إعادة فلسطين إلى موقعها الحقيقي كقضية مركزية للأمم.
- ٢ . الترويج للقيم الجهادية والنضالية في إطار استراتيجية تحرير فلسطين.
- ٣ . بناء علاقة متينة مع النخب والشخصيات المعنية بالقضية الفلسطينية.
- ٤ . إصدار دراسات وأبحاث وتقارير ذات بعد استراتيجي وتحليلي.

شكّلت، في الأيام القليلة الماضية، عودة رئيس الحكومة سعد الحريري إلى البلاد، الحدث الأبرز. وقد استحوذ غيابُه في السعودية، على الاهتمام الأكبر من قبل مختلف القوى، وطرحت علامات استفهام كبيرة حول مصير الحكومة، ومعها التسوية التي أتت بالحريري رئيساً للحكومة بعد تحقيقها الأهم عبر تولية العماد ميشال عون رئاسة الجمهورية.

من المفيد هنا التذكير بأن عوامل عدّة ساهمت بهذه العودة ما أدى إلى هذا التريث بالاستقالة. وتلك العوامل تراوحت بين الموقف السياسي الرسمي اللبناني المتمسك بالحريري والمواقف الدولية، وخاصة الأميركية والأوروبية، بالأخص فرنسا التي أخذت الموضوع على عاتقها وكانت المساهم الأكبر في إخراج الحريري من السعودية ومن ثم عودته إلى لبنان، إضافة إلى موقف مصري لافت للنظر.

وقد ظهر أنّ ثمة حماية دولية للبنان، حاولت السعودية أن تخرج عليها فجوبهت بموقف دولي متصدّ، كون استقالة الحريري قد تؤدّي إلى العبث بأمن واستقرار لبنان الذي يشكّل أهمية للمجتمع الدولي الذي يخشى على مصير لبنان، في ظلّ الخشية من أن تنتقل حرائق المنطقة إلى لبنان ما قد يؤثر على قضايا حساسة تهم العالم مثل قضية النازحين، ومسألة اليونيفيل التي تخص فرنسا.

هذه العوامل دفعت المسألة إلى الظهور كونها قضية حرية عند الرأي العام الدولي الذي ضغط بشدة على السعودية.

لكن الأهم تمثّل في موقف حزب الله الذي انتظره الجميع، وكان موقفاً غير تصعيدي، لا بل مهديء ومنفّس للإحتقان، وهو أمر يعطي دلالة كبيرة كون الحزب كان المستهدف الأساس

باستقالة الحريري وكان السبب وراء الهجمات الكبيرة التي شنتها وزراء الخارجية العرب ربطاً لما يقولون أنه دوره الذي يقوم به في أماكن عربية عدة. وفي الوقت نفسه يمثل الحزب، باعتراف أخصامه، جزءاً كبيراً من الشريحة اللبنانية، ما يمنع محاصرته ناهيك عن استهدافه، وهو أمر يدركه مستهدفوه.

وقد استبق الأمين العام لـ "حزب الله" السيد حسن نصر الله، في كلمته الأخيرة، عودة الحريري، بخطاب حفظ فيه ماء وجه الرئيس المستقيل، ممزراً، حسب البعض، رسائل في أكثر من اتجاه.

وقد لاقى السيد نصر الله الحريري، من جديد في مساعي التهدئة، منقّساً احتقان الشارع، السني قبل الشيعي، وملاقياً مختلف الأفرقاء "الكبار" على الساحة اللبنانية، في سبيل حماية التسوية ومن ضمنها الحريري.

وقد بقي رئيس الحكومة غير مستقيل بالنسبة إلى الحزب، وشكّل هذا الموقف ردّاً على كثيرين، حتى داخل بيئة المقاومة، طالبوا بموقفٍ حادٍّ ضد السعودية.

لكن هذا الموقف الذي أطلقه السيد نصر الله شكّل الحلقة الأهم في إطار تجسيد معنى الوحدة الوطنية التي تجلّت واضحة في البلاد منذ تقديم الحريري لاستقالته في الرابع من الشهر الحالي.

لكن وجهتي نظر برزتا حيال هذا الموضوع. تقول الأولى أن السيد نصر الله لم يشأ الإيغال في الموضوع المحلي، في انتظار ما ستمخّض عنه تلك العودة، كونه لم يكن متأكّداً ممّا إذا كان الحريري سيقدم استقالته من عدمه، ناهيك عمّا سيعلنه من مواقف، تصعيدية كانت أم لا، بعد لقائه مع رئيس الجمهورية الذي تمّ الأربعاء.

يقول هؤلاء، أن السيد نصر الله إلتمز بالتهدئة المفيدة للتمهيد لعودة الحريري وربما بفتح ممر لرئيس الحكومة الذي كان قد مهّد لترتيبه بالاستقالة عندما أشار من باريس إلى أنّه في صدد "مناقشة" استقالته. وهو "نقاش" يشير البعض إلى أن الحريري أراد من خلاله لفظ عبارته التمهيد للعودة كون فكرة التريث لم تكن قد واردته عند زيارته الإليزيه، لكنه كان يقصد أن يمهد للتراجع.

على أنّ السيد نصر الله مرّر الكرة إلى رئيس الجمهورية للتفاهم الكامل مع الحريري، وكأنه بذلك أراد القول أنه يقف وراء عون في ملف الاستقالة، حسب هذه الرؤية. ويتقاطع هذا الأمر مع إشادته بموقف الدولة اللبنانية ووزير الخارجية جبران باسيل على جهده في مواجهة احتجاج الحريري في السعودية.

وتقول هذه القراءة أن السيد نصر الله مهّد لتسوية مع وزراء الخارجية العرب، الذين خرجوا ببيان بالغ التصعيد مع "حزب الله". وهو أراد بذلك تظهير التزامه بعملية النأي بالنفس عبر التشديد على إعلان "إنجاز" المهمة في العراق والإشارة إلى قرب الانسحاب من هذا البلد، وتأكيد في العلن عدم تواجد الحزب في اليمن، عبر إبراز موقف رسمي على هذا الصعيد. في مقابل وجهة النظر هذه، يبرز رأي آخر مؤداه أن الأمين العام لـ"حزب الله" قد ضمّن كلمته ذات الرسائل المتعدّدة، محلياً وإقليمياً، فصلاً تاماً بين الشائين الإقليمي والمحلي.

لا توافق هذه النظرة، التي يتبنّاها فريق ما يعرف بـ ٨ آذار، وبعض من فريق ١٤ آذار، أن السيد نصر الله أراد توجيه رسالة جديدة حول النأي بالنفس، والتي يقولون أنها تريد الإيحاء بتراجع عن هذه السياسة.

وتقول وجهة النظر هذه أن كلام نصر الله جاء في إطار التوصيف لواقع الحال وليس إعلان السياسة للحزب. وتتطرق ممّا أعلنه عن الذهاب نحو ساحات أخرى، قد تكون في لبنان وسوريا

أو في خارجهما. وتشير إلى أن الحزب ما زال على استراتيجيته، قبل بيان القاهرة الذي أتى به الوزراء العرب، وبعده.

ويقف أصحاب وجهة النظر عند الهجمات العنيفة التي شنّها الأمين العام لـ"حزب الله" على السعودية والتي حملت نبرة عالية، وتلك التي استهدفت الوزراء العرب، لا بل استخفت بما حملته مقرراتهم غير المتوائمة مع الواقع، إلى درجة السخرية من قراراتهم.

من هنا، وجّه السيد نصر الله رسالة واضحة إلى الذين اجتمعوا في القاهرة، عندما أشار إلى أنّ الخروج من العراق غير متعلّق ببياناتهم ضد الحزب، التي لم تكن جديدة أصلاً وحملت مواقف سابقة.

ويستشهد هؤلاء في رؤيتهم بقول السيد نصر الله أنه "ممنوع أن نتكلم عمّا يجري على اليمنيين وإلا فإن الحكومة اللبنانية مهدّدة بالسقوط"، مطالباً المرجعيات الدينية وكل العرب والمسلمين، بدعوة السعودية إلى وقف هذه الحرب وهذا القتل الجماعي، مع تمريره رسالة بأن الحزب يؤيد الذهاب حينها إلى حل سياسي".

على أن ثمة مفارقة تتمثل في أنّ هذه القراءة تتقاطع مع قراءة يقدّمها بعض الأقطاب على يمين قوى ١٤ آذار وتيار المستقبل. ويقول هؤلاء أنّ السيد نصر الله قدّم خطاب انتصار، معبراً عنه بإخراج دبلوماسي ليظهر في شكل يريد التهدئة. وتقرّ هذه القراءة بأن هذه التهدئة التي لجأ إليها السيد نصر الله أفادت البلاد، وأتت لمصلحة التسوية التي يتمّ العمل عليها، وتفيد جهود رئيس الجمهورية الذي تقع على عاتقه مهمة الإخراج، إضافة إلى رئيس المجلس النيابي نبيه بري.

ويقول البعض الآخر، في إطار تلك القوى، أن نصر الله حاول الظهور بمظهر الحافظ للاستقرار في مقابل إظهاره الدور السعودي على أنه مخرب ويهدف إلى التفجير، "ما لا يتواءم مع إشارته المستمرة إلى دوره مع قائد قوة القدس قاسم سليمان".

لكن الملاحظ أن ثمة تباين جدّي في صفوف قوى ١٤ آذار حيال كلام السيد نصر الله، بين من اعتبر حينها أنه صادق في التسوية، التي توائمه في كل الأحوال، وقد فتح الباب أمام الحل المؤقت الذي حدث، وبين من أشار إلى أن السيد نصر الله حاول، كعادته، كسب الوقت، عبر مرونة لفظية، في سبيل تحضير ما اعتبروا أنه مفاجآت سلبية قد تضرب البلاد. وتتعرف شخصية من صقور المستقبل أن السيد نصر الله أثبت عقم تحليلها وتمكّن من تمهيد الطريق أمام التسوية.

وقد ساهم الإخراج الشكلي في إيصال السيد نصر الله لرسالته، وهو الأمر الذي لخصته الابتسامة الدائمة التي فسّرت الاطمئنان الكبير لواقع الحال في لبنان والمنطقة، خرقتها الدموع لدى تناول الشأن اليمني.

وهو بدا مرتاحاً لدى مقاربتة قضايا المنطقة، من العراق وخاصة لدى إعلانه سقوط دولة داعش وقرب إعلان النصر النهائي، وسوريا التي تشكّل العمق الاستراتيجي للمقاومة، وحيث حققت المقاومة إنجازاً عسكرياً كبيراً جداً في البوكمال، واليمن الذي يقاتل أبناؤه ببسالة في وجه السعودية.

هذه اللهجة الهادئة والواثقة لدى السيد نصر الله، عبّر عنها عدم ذهابه، خلال تحذيره من التمهيد للتطبيع بين إسرائيل والسعودية، إلى حدّ الانفعال كما حدث أكثر من مرة في خطاباته الماضية في وجه السعودية، وهو أمر تقصّده السيد نصر الله لتمرير تلك الرسائل، ما تبدّى في

هدوئه لدى استشهاده بالقول الإسرائيلي بأنه "ليس من قبيل الصدفة أن يقول وزير الخارجية السعودي عادل الجبير بالعربية ما نقوله نحن بالعبرية".

وقد كان بليغاً إعلان السيد نصر الله، كعادته، أن البوصلة تتّجه نحو فلسطين التي هي الأساس، والتي يتوجّه إليها الدعم التسليحي للحزب، إضافة إلى سوريا، وهو ما أعلنه الأمين العام لحزب الله من دون موارد، مع تحذيره أيضاً من حربٍ مقبلة، قد تتخذ أشكالاً مختلفة، تخاض ضد كل من وقف في وجه داعش وأنهى دولتها.

يمكننا القول أن الحزب قد خرج من الأزمة رابحاً، وقد حقّق انتصاراً كبيراً بإنهاء أزمة الاستقالة من دون أن يقدّم أي تنازل حقيقي. وكل ما قد يحصل لن يتخطّى التنازل الكلامي لا أكثر في مقابل تحسين صورته في الشارع السني عبر استيعاب الاستقالة، لتصبح صورته مغايرة للماضي عبر الظهور بمظهر الحريص على الوفاق والاستقرار، وهو سيقدم التسهيلات وسيحرص على عدم استفزاز الحريري.

ويبدو تشكيل حكومة من دون الحزب صعباً جداً لا بل مستحيلاً، وعلى صعيد ما يمكن للحزب تقديمه من تنازلات، فإن هذا الأمر يجب أن يتم تحليله على صعيد كل ملف.

ونبدأ بما أعلنه السيد نصر الله في العراق. فعلى هذا الصعيد قال أن دولة داعش سقطت وأكد أنّ مهمّة الحزب قد أُنجزت. وهو لمّح إلى قرب سحب قوات الحزب في العراق. هنا، لا يبدو ثمة مشكلة.

على الصعيد اليمني، يبدو أن هذا العامل هو الذي ضرب السعودية في الصميم، بعد تراكمات كبيرة، فشنت حملتها على الحزب انطلاقاً من فشلها اليمني واستنزافها المتراكم.

تمت دعوة الحزب للخروج من اليمن، وقد يطلب الحريري التوصل إلى حلٍ شكليّ، في الوقت الذي مرّر فيه الحزب الكرة إلى الحريري عبر التأكيد أن لا وجود للحزب في اليمن، وهو أمر يلفت الحزب النظر إليه أيضاً في الأماكن العربية التي يتّهم الحزب بالعمل فيها كالبحرين والكويت.

أما على الصعيد السوري، فإنّ تدخل الحزب في هذا البلد جاء بعد تدخل كثيرين فيه سبقوه، وقد أخذ تدخل الحزب اهتماماً أكبر بسبب أدائه دوراً كبيراً في تغيير المعادلات فيه، وقد اتخذ الطابع العسكري.

وإذا كان النأي بالنفس يعني انسحاب الحزب من سوريا، فإنّ هذا الأمر لن يتمظهر قريباً. ومن غير المنطقي الطلب من الحزب تقديم، في زمن الانتصار، ما لم يُقدّم في زمن مخاض هذا الانتصار، وقد أصبح الحزب عاملاً أساسياً في المفاوضات الدولية الجارية اليوم.

لذا، فإنّ الأمر مستبعد ولا يمكن للحريري ومن ورائه السعودية، توقّع أي تنازل من قبل الحزب على هذا الصعيد.

أما على صعيد السلاح، فإنّ نزعه لن يبحث على الإطلاق، وقد تتمّ الدعوة إلى حوار حوله في طريقة غير مباشرة بين الحزب والحريري، يقودها رئيس الجمهورية ورئيس مجلس النواب.

في كل الأحوال، يمكن تسجيل رئيس الجمهورية كمنتصر أيضاً بعد إثباته في الأزمة أنّه يمارس صلاحياته في شكلٍ كاملٍ وحريص على رئيس حكومته من باب حرصه على سيادة لبنان. كما برز على الصعيد التوفيقي مع الحريري الذي يعول عليه كثيراً اليوم في سبيل إدارة الأزمة على طريق حلها.

من جهة الحريري، يبدو أنه خرج فائزاً أيضاً بعد صموده الكبير. وهذا الفوز سيتمظهر في صعوده شعبياً أكثر من أيّ وقتٍ آخر، استعداداً للإنتخابات النيابية في أيار المقبل، والتي يقول البعض أنه يسعى لدى رئيس الجمهورية لتقريب موعدها شهر أو شهرين.

ويقول البعض أنّ ثمة حديثاً جدياً بين عون والحريري للتحالف في أماكن كثيرة في لبنان، لا بل إنّ البعض يزيد بأنّ أجواء التفاهم الحالية قد تسقط نفسها على حلف رباعي بين عون والحريري وبري وحزب الله.

على صعيد الفترة القليلة المقبلة، يبدو من الواضح أنّ التريث بالاستقالة هو أقرب إلى التراجع عنها، لكنه، حسب مؤيدين للحريري، لن يكون تراجعاً في الهواء من دون التوافق على مجموعة عناوين سياسية ستطرح ذات علاقة بالنأي بالنفس واتفاق الطائف والسلاح. في المقابل، سيحرص الحريري على التزام أتباعه بعدم الهجوم على حزب الله.

لكن البعض الآخر يقول أنّ التريث يعني فعلياً التراجع، وقد اختار الحريري هذا المخرج بناءً على نصيحة من الرئيس نبيه بري وفي اللقاء الثلاثي مع عون وبري ثم خلال الخلوة مع عون، وقد شكّلت خروجاً من مأزق العودة عن الاستقالة التي ستبدو مهينة في حق السعودية والحريري.

ومن المنتظر أن يمارس الحريري كل مهامه على رأس الحكومة التي ستعقد جلسة قريبة للدلالة على أن الأمور عادت إلى طبيعتها. حتى أنّ هذا البعض يذهب إلى الاعتقاد بأنّ الأمور ما بعد الاستقالة ستكون غير ما قبلها لفائدة البلاد التي ستعيش على التناغم الذي حصل، في ظلّ دعم دولي يضع استقرار لبنان ضمن اهتماماته.

ويُتَّجَّه عون إلى إجراء حوارات جانبية مع الأطراف الأساسية المعنيّة بالمعادلة الجديدة، متجنّباً طاولة الحوار الموسّعة التي يُعتَقَد أنها غير ملائمة للتعامل مع الإشكالية المطروحة ومعالجتها. ثم قد يدعو إلى حوارٍ شامل بين الأقطاب في البلاد إذا شعر أنّ الأمور في إطار الإيجابية.

الانتخابات حاصلة

طُرح سؤال كبير حول إمكانية إجراء الانتخابات النيابية من عدمها، بعد أن هدّدت استقالة الحريري إجراءها.

ويبدو أن هذا الاستحقاق سيحدث، في ظلّ القانون الجديد، بعد التزام القوى الكبرى كافة في البلاد، به، برغم اعتراض البعض منها، ومنهم الحريري سابقاً، لكن الأمر اليوم يبدو مغايراً، فقد أصبح في إمكان رئيس الحكومة تقليل خسارته في هذا الاستحقاق، وإن كان الأمر لن يصبح كما كان عليه في استحقاق العام ٢٠٠٩ في ظل القانون الأكثرية.

في هذه الأثناء، لا يزال الجدل قائماً في شأن التسجيل المسبق واستخدام البطاقة البيومترية للمقترعين في أماكن السكن، إضافة إلى الفرز القائم بشأن إنجاز البطاقة البيومترية بالتراضي أو وفق مناقصة.

لكن يبدو من المرجح سقوط إقتراح الاقتراع في مكان السكن، لصالح الإبقاء على الاقتراع في مكان القيد وبطاقة الهوية أو جواز السفر، إضافة إلى مشاركة المغتربين للمرة الأولى في تاريخ الانتخابات.

من هنا، بات الحديث عن البطاقة البيومترية من الماضي، أقلّه في انتخابات العام المقبل.